الجمعة وكان يوم السبت يوم الفراغ فقال اليهود فنحن نوافق ربنا في ترك الاعمال فعينوا السبت
لهذا المعنى وقالت النصارى مبدا الخلق والتكوين يوم الاحد فنجعل هذا اليوم عيدا لنا فهذان
وجه المتمسكين في اختيار اليومين ونحن نقول يوم الجمعة يوم التمام والكمال وحصول التمام والكمال
هو الموجب لكمال الفرح والسرور والموجب للاشتغال بالشكر والخضوع فكان يوم الجمعة افضل
بالنسبة الى ساير الايام من هذا الوجه وفضلت عليهما من هذا الوجه فكان وجها عقليا
لتخصيصه بجعل يوم العيد والعبادة الزايد وقيل معنى اختلافهم في السبت انهم احلوا الصيد
فيه تارة وحرموه اخرى ولم يتفقوا على الكلمة واحدة مع انه تعالى امرهم بتعظيمه والامتناع
من الصيد فيه قال قتادة استحل الصيد فيه بعضهم زمن داود عليه السلام اهل ايلة الابلة
بضم الباء وتشديد اللام مدينة في جنب البصرة والايلة اسم موضع كذا في الصحاح فجعل
السبت عليهم حيث عوقبوا بترك حرمته بان لعنوا او مسخوا قردة دون الذين لم يعتدوا ايام عن
ذلكم ثم انه تعالى لما امره باتباع ابراهيم بين في اي شيء يتبعه فقال ادع الى سبيل ربك
ربك بالحكمة قوله بالمقالة الحكمة اشارة الى ان المراد بالحكمة البراهين القطعية
المفيدة للمعارف الحقيقية والعلوم اليقينية وبالموعظة الحسنة الامارات الظنية
والدلايل الاقناعية وبالادلة الجدلية الدلايل التي يكون المقصود من ذكرها الزام الخصم وافحامه
ثم ان الجدل على قسمين احدهما هو الدليل المركب من مقدمات مشهورة مسلمة عند الجمهور او من مقدمات
مسلمة عند الخصم وهذا القول هو الجدل الواقع على الوجه الاحسن والقسم الثاني ما يكون مركبا
من مقدمات فاسدة الا ان المستدل يروجها ويروجها لتشغيب الخصم وسفاهته
سلوك الطرق الفاسدة عند المناظرة وهذا القسم لا يليق بالعقلاء وانما اللائق بهم هو القسم الاول
وذلك هو المراد بقوله تعالى وجادلهم بالتي هي احسن فهو تعالى حصر الحجج والدلايل الصادرة
عن العقلاء في هذه الاقسام المذكورة في الاية الكريمة والذين يدعون الى الحق طوايف ثلاثة
المناظرة تلك طوايف الكاملون الطالبون للمعارف الحقيقية والعلوم اليقينية ولا يقنعون
بالظن الغالب والمكالمة التي تليق بهم المجادلة مع هولاء لا بد ان يكون بالدلايل القطعية
اليقينية وهي الحكمة والقسم الثاني الذين يغلب عليهم المشاغبة والمخاصمة لا طلب الحق والمعارف
المكالمة اللائقة بهم المجادلة التي تفيد الافحام والالزام فهاتان الطائفتان هما الطرفان
الاول منهما الكاملون في الاستكمال بحسب القوة النظرية والثاني هم الناقصون الدرجة في
الاستكمال بحسب القوة النظرية والقسم الثالث هم المتوسطون بين الطايفتين
حيث لم يبلغوا في الكمال الى درجة الحكماء المحققين ولا في السقوط الى حد المشاغبين بل هم

هم اقوام بهذا على الفطرة الاصلية والسلامة الخلقية وما بلغوا الى
درجة الاستعداد لفهم الدلايل اليقينية والمعارف الحكمية والمكالمة مع
هولاء لا يمكن الا بالموعظة الحسنة والدلايل الاقناعية الظنية فكانه قيل
ادع الاقوياء الكاملين الى الدين الحق بالحكمة وهي البراهين القطعية اليقينية وعوام
الخلق بالموعظة الحسنة وهي الدلايل الاقناعية الظنية وتكلم مع المشاغبين بالجدل
على الطريق الاحسن ودلت هذه الاية الكريمة على ان الدعوة لا بد ان يكون بالدلايل
القطعية التي هي الحكمة والا فبالدلايل الظنية وهي الموعظة واما الجدل
فليس من طرق الدعوة بل المقصود منه غرض اخر وهو الالزام والافحام واليه اشار
المص بقوله وجادل معانديهم بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة ثم انه تعالى قال ما
معناه انك يا محمد مكلف بالدعوة الى الله بهذه الطرق المذكورة واما حصول الهداية
فلا يتعلق بك فهو اعلم بالمهتدين فان جواهر النفوس البشرية مختلفة بالماهية فبعضها
نفوس مشرقة صافية قليل التعلق بالجسمانيات كثير الانجذاب الى عالم الروحانيات
وبعضها مظلمة كدرة قوية التعلق بالجسمانيات عديمة الالتفات الى الروحانيات ولما كانت
هذه الاستعدادات من لوازم جواهرها لا جرم يمتنع انسلاخها وزوالها فلهذا قال
تعالى اشتغل انت بالدعوة ولا تطمع في حصول الهداية للكل فانه تعالى العالم بخصوصيات
استعدادات النفوس فلكل نفس فطرة مخصوصة كما قال فطرة الله التي فطر الناس
عليها لا تبديل لخلق الله قوله لما امر بالدعوة الخ بيان لانبساط هذه الاية بما قبلها
قال المحققون لما امروا بالدعوة الى الدين الحق وكانت الدعوة المذكورة متضمنة امر
المبطلين بالرجوع عن دين ابائهم واسلافهم والحكم عليه بانه كفر وضلالة وكان ذلك مما
يشوش قلوبهم وربما يحملهم ذلك على ايذاء الداعي بنحو الشتم والضرب والسلب ونحو ذلك فلا جرم
امر الله تعالى المحقين في هذا المقام برعاية العدل والانصاف وترك الزيادة فقال تعالى
وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به اي ان رغبتم في استيفاء القصاص فاقنعوا بالمثل
ولا تزيدوا عليه فان استيفاء الزيادة ظلم وهو تعالى لا يرضى بالظلم وفي الاية دلالة
على ان الاولى ترك المعاقبة فانك اذا قلت للمريض ان كنت تاكل الفاكهة فكل التفاح
فانه يفهم منه ان الاولى بك ان لا تاكل ثم انه تعالى عدل عن طريق التعريض الى التصريح حيث
قال ولئن صبرتم لهو خير للصابرين فانه صريح بان الاولى ترك الانتقام ولما كان الصبر شاقا
شديدا ذكر بعده ما يسهل تحمله لمن اختار العفو فقال وما صبرك الا بالله ولما كان السبب

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)